

محاضرات وكلمات توجيهية

تم تحميل هذه المادة من موقع:

الأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد

<http://fac.ksu.edu.sa/saleid1>

أحمد بن حنبل (رحمه الله)

نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفتى ولم يتجاوز سن الشباب .

إنه الامام حقا وشيخ الاسلام صدقا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد ... الشيباني احد الائمة الاعلام .

ولادته ونشأته

الولادة / ولد الإمام أحمد في شهر ربيع الآخر، وقيل : في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين ومئة ١٦٤ . وكان محمد والد الإمام أحمد من اجناد مرو مات شابا له نحو من ثلاثين سنة وربى أحمد يتيما وقيل ان امه تحولت من مرو وهي حامل به .

النشأة / وكانت أمه شديدة الحرص عليه تولت رعايته وطلبه للعلم، فكنت مثالا للأمهات في تنشئة الرجال والعلماء ، فقد حكى عنها أنها موقفاً من مواقف حرصها عليه ، فيقول: كنت ربما أردت البكور في الحديث، أي أنه يريد الخروج إلى طلب الحديث والسماع من المحدثين قبل طلوع الفجر ، ويقول فتأخذ أُمِّي بثيابي ، وتقول : حتى يؤذن الناس أو يصحوا .

وهذا الموقف يدلنا من طرف آخر على شدة حرص أحمد بن حنبل في صغره على طلبه للعلم ، والتبكير إليه ، ومسك أمه بثيابه يدل على المغالبة فكأنه يريد ان يغلبها على نفسه فيخرج قبل طلوع الفجر لسماع الحديث ، ولكن امه تحشى عليه الخروج في هذا الوقت من الليل .

وكان الإمام أحمد في بداية شبابه يجالس كبار العلماء ،قال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول طلبت الحديث سنة تسع وسبعين ، وكان عمره حين ذاك خمس عشرة سنة ، فسمع من عدد كثير من الشيوخ .

علمه

علم / حفظ / روى صالح بن أحمد عن ابيه قال مات هشيم وأنا ابن عشرين سنة وأنا احفظ ما سمعت منه . وقد عرف رجال الحديث سعة حفظه ، قال عبد الله بن أحمد قال لي أبو زرعة ابوك يحفظ الف الف حديث فقل له وما يدريك قال ذاكرته فاخذت عليه

الابواب . قال الذهبي : فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله وكانوا يعدون في ذلك المكرر والاثر وفتوى التابعي وما فسر ونحو ذلك والا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عُشر معشار ذلك . كما أن الشاب قد يتساءل كيف يحفظ الإمام ألف ألف حديث ونحن في هذا الزمان لا نقدر أن نحفظ مائة حديث ، فإن الإجابة على ذلك أن تقوى الله والبعد عن المعاصي تجعل الشاب يحفظ الكثير من العلم . أما سمعنا قول الشافعي (رحمه الله) :

العلم به / يضرب لنا الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) مثل العالم العامل بعلمه ، فقد كان (رحمه الله) إذا تعلم حديثاً عمل عمل به ، قال المروزي قال لي أحمد ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت . فهذا يدل على عمله بالأشياء الدقيقة ، فكيف حاله مع الأحاديث الأخرى . لقد كانت شدة حرصه على العمل بعلمه سبباً في ثبوت العلم ورسوخه في نفسه ، حتى كان رحمه الله آية في العلم .

خلقه

تواضع / ومع ما بلغ الإمام أحمد (رحمه الله) من الخير فإنه كان شديد التواضع ولا يفتخر بشيء من ذلك الخير على أحد ، قال يحيى بن معين ما رأيت مثل أحمد صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير . هذه سيما الصالحين وعلامة المتقين ، فإنهم يعرفون أن ما بهم من الخير فمن الله سبحانه وتعالى وحده ، فلا يفتخرون به على أحد ، بل يحمدون الله ويشكرونه على هذا الخير .

تواضعه / مع شدة ورعه وتقواه (رحمه الله) إلا أنه ينظر لنفسه أنه ليس من هذا الصنف من الناس ، قال المروزي سمعت أبا عبد الله ذكر أخلاق الورعين فقال أسأل الله أن لا يمجتنا أين نحن من هؤلاء .

كرمه / أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، ومن خصال الإمام الحميدة شدة كرمه مع قلة ما عنده (رحمه الله) ، فعن عبد الله بن أحمد قال قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المؤدب كنت آتي إباك فيدفع إلي الثلاثة دراهم وأقل وأكثر ويقعد معي فيتحدث وربما اعطاني الشيء ويقول اعطيتك نصف ما عندنا فجئت يوماً فأطلت القعود انا وهو قال ثم خرج ومعه تحت

كسائه اربعة ارغفة فقال هذا نصف ما عندنا فقلت هي احب الي من اربعة آلاف من غيرك .

كرمه / قال المروزي رايت أبا عبد الله قد وهب لرجل قميصه وقال ربما واسى من قوته .
كرمه / وعن يحيى بن هلال قال جئت أحمد فاعطاني اربعة دراهم وقال هارون المستملي
لقيت أحمد بن حنبل فقلت ما عندنا شيء فأعطاني خمسة دراهم وقال ما عندنا غيرها .
خلقه / لقد استفاد الإمام أحمد من علمه الخير الكثير ، فكما برع في العلم فقد برع في
العمل وحسن الخلق ، فعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال ما اعلم اني رايت احدا
انظف بدنا ولا اشد تعاهدا لنفسه في شاربته وشعر راسه وشعر بدنه ولا انقى ثوبا بشدة
بياض من أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

زهده

كان رحمه الله عفيف النفس ، لا يقبل من أحد عطاءً ، فرمما احتاج المال اقترض
قال عبد الله بن أحمد حدثني إسماعيل بن أبي الحارث قال مر بنا أحمد فقلنا لإنسان اتبعه
وانظر أين يذهب فقال جاء إلى حَنَّكَ المَرْوَزِيِّ فما كان إلا ساعة حتى خرج فقلت لحنك
بعد جاءك أبو عبد الله قال هو صديق لي واستقرض مني مئتي درهم فجاءني بها فقلت ما
نويت أخذها فقال وأنا ما نويت إلا أن أردّها إليك .

الزهد / وعن صالح بن أحمد قال دخلت على أبي يوما ايام الوثائق والله يعلم على أي حال
نحن وقد خرج لصلاة العصر وكان له لُبْدٌ يجلس عليه قد اتى عليه سنون كثيرة حتى بلي واذا
تحتة كتاب كاغد فيه بلغني يا أبا عبد الله ما انت فيه من الضيق وما عليك من الدين وقد
وجهت اليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان وما هي من صدقة ولا زكاة وإنما هو شيء
ورثته من أبي فقرأت الكتاب ووضعتة فلما دخل قلت يا ابة ما هذا الكتاب فاحمر وجهه
وقال رفعته منك ثم قال تذهب لجوابه فكتب إلى الرجل وصل كتابك الي ونحن في عافية فاما
الدين فإنه لرجل لا يرهقنا وأما عيالنا ففي نعمة الله فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان
اوصل كتاب الرجل فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل مثل ذلك فرد عليه بمثل ما رد فلما
مضت سنة أو نحوها ذكرناها فقال لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت .

الزهد / ومع هذه المكانة للإمام أحمد (رحمه الله) فإنه لم يكن من أصحاب الأموال ، ولا يكاد في بعض الأحيان يجد حاجته الضرورية ، فلم يشغل نفسه بالبحث عن المال ، وربما جاءه العطاء وهو في أشد الحاجة إليه فيرفضه تورعاً .

الزهد / وحتى الطعام ، فرمى بقي الإمام أحمد الأيام جائعاً لا يجد ما يسد به جوعه، فعن أبي إسحاق الجوزجاني قال كان أحمد بن حنبل يصلي بعبد الرزاق فسها فسال عنه عبد الرزاق فأخبر انه لم يأكل منذ ثلاثة ايام شيئاً.

الزهد / وعن أحمد بن سنان قال بلغني ان أحمد ابن حنبل رهن نعله عند خباز باليمن وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها. ما أحوج الأمة إلى أمثال أحمد بن حنبل (رحمه الله) فيما سطره من من الأخبار الجميلة في العلم النافع والعمل الصالح ، والخلق الحسن . فنسأل الله سبحانه وتعالى لشباب الإسلام التوفيق والهداية والفلاح .

الزهد / وعن الرمادي سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه فقال بلغني ان نفقته نفدت فأخذت بيده فأقمته خلف الباب وما معنا احد فقلت له انه لا تجتمع عندنا الدنانير اذا بعنا الغلة اشغلناها في شئ وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فنخذها وأرجو ان لا تنفقا حتى يتهياً شئ فقال لي يا أبا بكر لو قبلت من احد شيئاً قبلت منك .

الزهد/ لقد بذل الإمام أحمد (رحمه الله) نفسه في طلب العلم والبحث عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن موسى بن هارون سمعت ابن راهويه يقول لما خرج أحمد إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء وعرض عليه أصحابه المواساة فلم يأخذ .

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

عبادته

وقال عبد الله ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم وكان يكثر الدعاء ويخفيه ويصلي بين العشاءين فإذا صلى عشاء الآخرة ركع ركعات صالحة ثم يوتر وينام نومة خفيفة ثم يقوم فيصلّي وكانت قراءته لينة ربما لم افهم بعضها وكان يصوم ويداوم ثم يفطر ما شاء الله ولا يترك صوم الاثنين والخميس وايام البيض . ولم تكن هذه حالة الإمام أحمد (رحمه الله)

الله) في حال كبره ، بل كان كذلك حتى في حادثة سنه ، فعن ابراهيم بن شماس قال كنت اعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيى الليل .

المكانة / لقد عرف العلماء قدر علم الإمام أحمد وهو مازال شاباً ، فعن المزني قال لي الشافعي رأيت ببغداد شابا اذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق قلت ومن هو قال أحمد بن حنبل .

ورعه وتقواه

عن سليمان الشاذكوني قال : لقد حضرت من ورعه شيئا بمكة انه ارهن سطلا عند فامي فأخذ منه شيئا ليقوته فجاء فأعطاه فكاكه فأخرج اليه سطلين فقال انظر ايهما سطلك فقال لا ادري انت في حل منه وما أعطيتك ولم يأخذه قال الفامي والله انه لسطله وإنما اردت ان امتحنه فيه .

ورعه وتقواه / قال المروزي كان أبو عبد الله اذا ذكر الموت خنقته العبرة وكان يقول الخوف يمنعني اكل الطعام والشراب واذا ذكرت الموت هان علي كل امر الدنيا انما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها ايام قلائل ما اعدل بالفقر شيئا ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر .

ورعه وتقواه / وروي عن المروزي قال قلت لأحمد كيف أصبحت قال كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض ونبه يطالبه بأداء السنة والملكان يطالبانه بتصحيح العمل ونفسه تطالبه بهواها وابليس يطالبه بالفحشاء وملك الموت يراقب قبض روحه وعياله يطالبونه بالنفقة .

ورعه وتقواه / وقال عباس الدوري حدثنا علي بن أبي فزارة جازنا قال كانت أُمِّي مقعدة من نحو عشرين سنة فقالت لي يوما اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي فأُتيت فدققت عليه وهو في دهليزه فقال من هذا قلت رجل سألتني أُمِّي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال نحن أحوج أن تدعو الله لنا فوليت منصرفا فخرجت عجوز فقالت قد تركته يدعو لها فجئت إلى بيتنا ودققت الباب فخرجت أُمِّي على رجليها تمشي . قال الذهبي : هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس .

ورعه وتقواه / ومن تقوى الإمام أحمد (رحمه الله) خوفه على نفسه من التغير والتبدل ، فقد قال صالح بن أحمد كان أبي اذا دعا له رجل يقول الاعمال بخواتيمها .

وفاته

لعاشر وقال صالح لما كان اول ربيع الاول من سنة احدى واربعين ومئتين حم أبي ليلة الاربعاء

وقال المروزي مرض أحمد تسعة ايام وكان ربما اذن للناس فيدخلون عليه افواجا يسلمون ويرد بيده وتسامع الناس وكثروا

واشتدت علته يوم الخميس ووضاته فقل خلل الاصابع فلما كانت ليلة الجمعة ثقل وقبض صدر النهار فصاح الناس وعلت الاصوات بالبكاء حتى كان الدنيا قد ارتجت وامتلأت السكك والشوارع

قال صالح بن أحمد وجه ابن طاهر يعني نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامان معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقالوا الامير يقرئك السلام ويقول قد فعلت ما لو كان امير المؤمنين حاضره كان يفعله فقلت اقرئ الامير السلام وقل له ان امير المؤمنين قد اعفى أبا عبد الله في حياته مما يكره ولا احب ان اتبعه بعد موته بما كان يكرهه

قال الخلال سمعت عبد الوهاب الوراق يقول ما بلغنا ان جمعا في الجاهلية ولا الاسلام مثله يعني من شهد الجنازة حتى بلغنا ان الموضع مسح وحزر على الصحيح فاذا هو نحو من الف الف

قال جعفر بن محمد بن الحسين النيسابوري حدثني فتح بن الحجاج قال سمعت في دار ابن طاهر الامير ان الامير بعث عشرين رجلا فحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل فحزروا فبلغ الف الف وثمانين ألفا سوى من كان في السفن

وقال أبو بكر البيهقي بلغني عن أبي القاسم البغوي ان ابن طاهر امر ان يحزر الخلق الذين في جنازة أحمد فاتفقوا على سبع مئة الف نفس

وقال عبد الله بن أحمد قال أبي اخرج حديث الانين فقرأته عليه فما سمع له انين حتى مات وفي جزء محمد بن عبد الله بن علم الدين سمعناه قال سمعت عبد الله بن أحمد يقول لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده ويدي الخرقه لاشد بها لحييه فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا لا بعد لا بعد ثلاث مرات فلما كان في الثالثة قلت يا ابة أي شيء هذا الذي لهجت به في هذا الوقت فقال يا بني ما تدري قلت لا قال ابليس لعنه الله قائم

بجذائي وهو عاض على انامله يقول يا أحمد فتني وأنا أقول لا بعد حتى اموت فهذه حكاية
غريبة تفرد بها ابن علم فالله أعلم

سئل عبد الله بن أحمد هل عقل ابوك عند المعاينة قال نعم كنا نوضئه فجعل يشير بيده فقال
لي صالح أي شيء يقول فقلت هوذا يقول خللوا اصابعي فخللنا اصابعه ثم ترك الإشارة
فمات من ساعته وقال صالح جعل أبي يحرك لسانه إلى ان توفي

وسمعت المروزي يقول عن علي بن مهروي عن خالته قالت ما صلوا ببغداد في مسجد العصر
يوم وفاة أحمد

وقيل ان الزحمة دامت على القبر اياما